شرح كتاب الكبائر

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَةٌ

الطَّبعَةُ الأُولى

١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م

وزارة الثقافة – فرع حضر موت

رقم الإيداع بدار الكتب اليمنية: ٢١١/٢٠١٠م

دار الأخـلاء للنشر والتوزيع

اليمن – حضر موت – المكلا

٤٠ شقة على طريق فوه مقابل مستشفى الأمومة والطفولة

E_mail: Salim_bareak@yahoo.com
Salim_bareak@hotmail.com

شرح كتاب الكبائر

للشيخ محمد بن عبد الوهاب

تأليف

عقيل بن عمر السقاف

تحقيق

أكرم مبارك عصبان

دار الأخلاء
للنشر والتوزيع

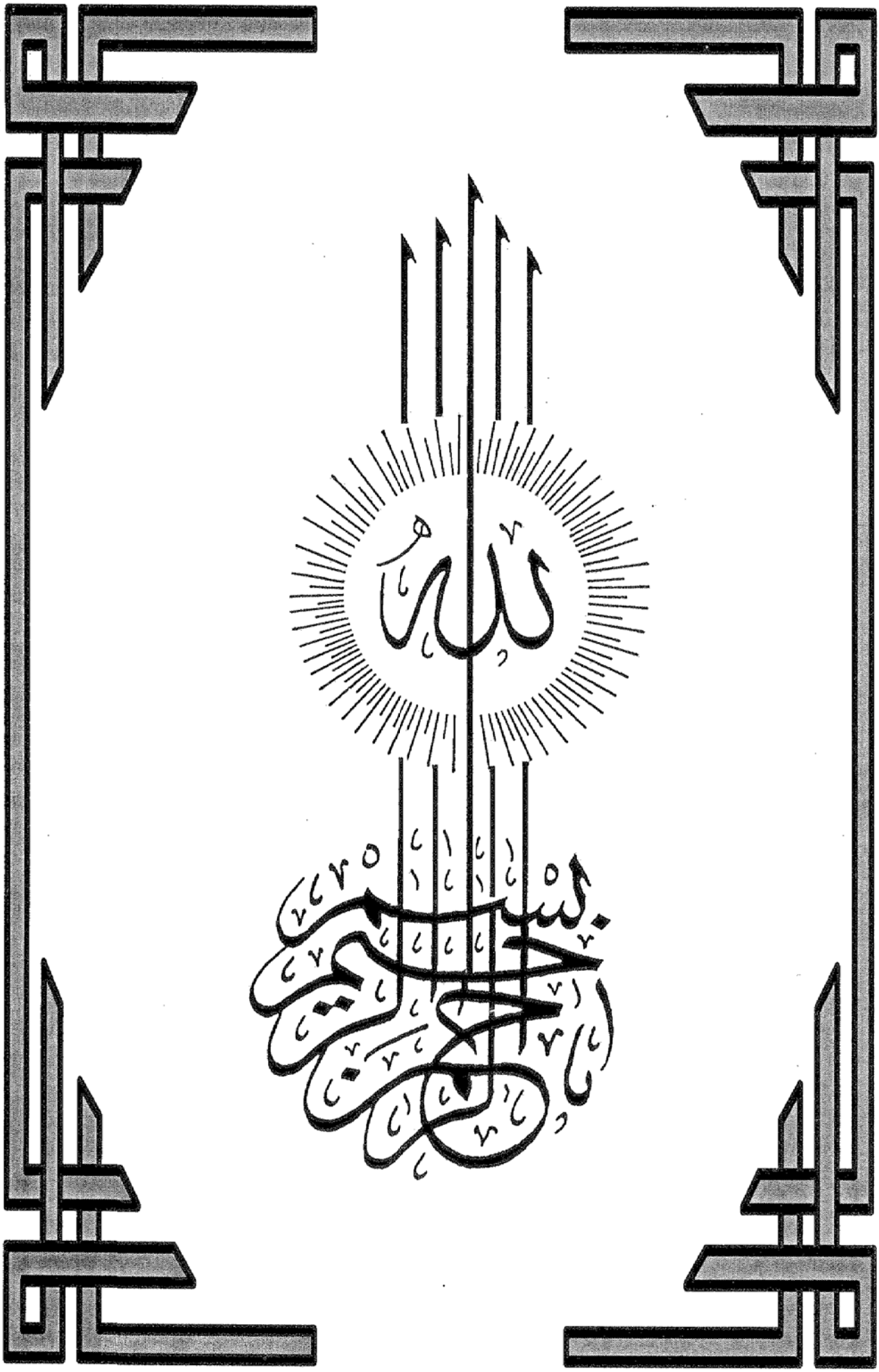
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وبعد:

ذكر الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء عن محمد بن عبادة المعافري قال: (كنا عند أبي شريح رحمه الله فكثرت المسائل، فقال: قد درنت قلوبكم، فقوموا إلى خالد بن حميد المهري استقلوا قلوبكم، وتعلموا هذه الرغائب والرقائق، فإنها تجدد العبادة، وتورث الزهادة، وتجر الصداقة، وأقلوا المسائل، فإنها في غير ما نزل تقسي القلب، وتورث العداوة) اهـ[1].

وأبو شريح هو أبو شريح عبد الرحمن بن شريح المعافري الإمام القدوة توفي سنة (١٦٧هـ) واشتهر بالعبادة أيضاً، ولكنه حين كثرت في مجلسه المسائل التي تورث القسوة فزع وانتفض، وأمر طلبته وأصحابه أن يبيموا وجوههم شطر خالد بن حميد المهري الذي عرف بالزهد، ليأخذوا عنه الرقائق والرغائب، ومع أنه من أهل هذه الدائرة، ولكنه يعرف لأهل الفضل فضلهم، وقد علم كل أناس مشربهم.

ومما نستنبطه من هذا النقل أمران: أحدهما: العناية بالرقائق وتزكية النفس، وهو أحد الغايات من بعثته عليه الصلاة والسلام.

قال تعالى: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ ﴾ [البقرة:١٥١]، قال ابن كثير في تفسيره: (وَيُزَكِّيهم، أي: يطهرهم من رذائل الأخلاق ودَنَس النفوس وأفعال الجاهلية)[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٨٢).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٤٦٤).

وثانيهما: أن نعرج في أخذها على من يحسن أمرها، وكلا الأمرين يوجدان في شرح الكبائر الذي ألفه الشيخ عقيل بن عمر السقاف، والمتن للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومستند المتن وشرحه على الكتاب والسنة لا يخرجان عنهما، فتمت بذلك النعمة.

وقد عُرِفَ الشيخ عقيل بن عمر بالوعظ، فحين تكون الحوالة عليه في هذا الشأن فإنها على مليء إن شاء الله، ويزداد الفرح به كونه يرجع في أصله إلى بلد حضرموت التي كان ينفر قومها من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كغيرهم ممن راجت عندهم الشائعات في الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فيفرون من كتبه فرارهم من الأسد، وما هذا بمستنكر من أرض شاعت فيها الخرافة، فكان أهلها يتطيرون بالدعوة لتجريد التوحيد، ولم يفرقوا بين الكتب التي تُعنَى بالعقيدة كمؤلفات التوحيد، وتلك التي تهتم بالرقائق ككتاب الكبائر، بل كانت المعاملة على حد سواء.

ولكن المستنكر أن يتوارى منها أيضاً بعض أهل الفضل، وما ذاك إلا بسبب امتلاء قلوبهم بتلك الشائعات المنفرة، وقد صدق من قال:

تقول هذا مجاج النحل تمدحه ... وإن تشاء قلت ذا قيء الزنابير

مدحاً وذماً وما جاوزت وصفهما ... والحق قد يعتريه سوء تعبير

وما ضروا بذلك إلا أنفسهم، فإن التعصب يفوت على المرء خيراً كثيراً، فعن الخطيب قال: (قال لي الإمام أبو عبد الله الحسين بن علي الصيمري الحنفي توفي (٤٣٦ هـ): سمعت من الدارقطني أجزاء من «سننه»، وانقطعت لكونه ليَّنَ أبا يوسف، وليتني لم أفعل، أيش ضر أبا الحسن انصرافي؟)[1].

وكل يؤخذ من قوله ويترك إلا المعصوم عليه الصلاة والسلام، فعلينا أن نناقش أقوال

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦١٦).

الشيخ ابن عبد الوهاب وغيره الحساب، ليتمحض ويتمحص الصواب، والذي طعن فيه بلا حجة فطعنه في الحجاب.

والشيخ عقيل بن عمر هو من شيعة الشيخ جعفر بن عبد الرحمن السقاف، وكان قد ترك حضرموت مغاضباً لمَّا تراكبت فيها ظلمات الجهل، وحمل العصا على عاتقه حتى ألقاها بصنعاء، وألف فيها كتاب (بغية المريد لسبيل أهل التوحيد).

وقد عاش الشيخ عقيل بن عمر بمكة فأخرج هذا الشرح المبارك وغيره من المؤلفات، ولم يلتفت إلى الألقاب المنفرة عن دعوة محمد بن عبد الوهاب، ولم يكن في هذا الأمر بدعاً، فقد قام الشيخ محمد بن محسن العطاس بتأليف كتابه (تنزيه الذات والصفات عن أدران الإلحاد والشبهات) وهو ممن عاش بمكة أيضاً في العصر ذاته.

ونسأل الله أن ينفع بهذا التحقيق إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

ترجمة شارح كتاب الكبائر

هو عقيل بن عمر السقاف المكي، كان عالماً فاضلاً عاملاً بعلمه، واشتهر بالوعظ، وأقرّ بفضله علماء عصره، منهم الشيخ عمر عبد رب الرسول، والشيخ محمد صالح ريّس، والسيد أحمد بن إدريس، خلّف أبناء علماء منهم إسحاق الذي تولى مشيخة السادة العلويين، ثم أخوه عبد الله، وقد ذكر زيني دحلان من أخبار ابني الشيخ عقيل واتصالهم بالولاة في مكة شيئاً كثيراً.

توفي الشيخ عقيل سنة (١٢٤٧هـ) بمكة المكرمة وترك مؤلفات منها:

- تنبيه الغافل عن ذكر الموت الهائل.
- مباني أسرار الدين الذي يكون به التمكين والنجاة في يوم الدين.
- قبضة السيف وميزانه المعروف بما يدلّ القرآن وفرقانه.

ومنها كتاب في أسباب إصلاح البيوت، وكتاب في الوصية، وبلوغ المرام فيما يتعلق بخروج المرأة من الأحكام، وتصفية الخواطر بذكر الأربعة الجواهر.

وله رسائل منها رسالة في تعريف التوحيد، ورسالة في شرح لا إله إلا الله حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي، ورسالة تتعلق بصلة الأرحام والأقارب، ورسالة في ذكر وعيد النار لمن عصى الله ووعد الجنة لمن أطاع الله، ورسالة في تعريف المسلم[1].

---

(١) انظر: مختصر نشر النور والزهر لمرداد أبي الخير، (ص٢٣٩)، شمس الظهيرة لعبد الرحمن بن محمد المشهور (١/ ٢٣٣)، خلاصة الكلام لزيني دحلان (ص ٣١٥).

بين يدي التحقيق

يُعدُّ هذا الكتاب شرحاً لكتاب الكبائر الذي ألَّفه الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي العالم المجدد الذي صنَّف المؤلفات في توحيد الألوهية، وإخلاص العبادة لله وحده، ونبذ الذرائع المفضية إلى الإشراك بالله ﷻ، ولم يألو جهداً في بيان ذلك دعوة وتأليفاً حتى رفع لها رأساً، وانتشرت دعوته في الآفاق فظهر المناوئون له، توفي (١٢٠٦ هـ).

ومن مصنفاته كتاب الكبائر الذي قام الشيخ عقيل بن عمر السقاف بشرحه، وهذه خمس وقفات عند هذا الشرح قبل أن نأتي إليه وهي:

الأولى: أن هذا الشرح ربط بين أبواب المتن حتى جاء بمثابة سلسلة مترابطة، وصار نصاً واحداً يأخذ بعضه برقاب بعض، ومن الصعوبة أن تجعل لفقراته عنواناً، فلا ينتقل إلى باب حتى يربطه بما قبله بأسلوب لطيف، يدل على مكانة الشارح، وامتلاكه نواصي البيان فتأمل مثلاً توفيقه بين ذم الحسد وذم سوء الظن بقوله: (فمن أراد الله به خيراً دلَّه على مجاهدة نفسه بمراقبة الله حتى يذهب عنه الحسد، ويثبت مكانه الود لكل مؤمن بالله، فيحسن الظن ما استطاع ويلتمس له أعذاراً عندما يُرمَى من الحُسَّاد بما ليس فيه).

وإن كان لا يخلو بعضها من نوع تكلف.

الثانية: امتاز شرحه بيسر العبارة، وسهولتها من غير تعقيد، بلغة الوعظ التي ترجى ثمارها، إذ المقصود من وراء ذلك إيضاح ما ورد في متن الكبائر، فاسمع إليه يقول لأهل عصره: (فلو يعظ الواعظ مهما يعظ فما همكم إلا دنياكم، قد بعتم آخرتكم بها...) وكقوله: (فإني ناصح لأهل زماني أن يبادروا إلى التوبة قبل اشتداد غضب الله).

الثالثة: النكير على أهل زمانه ممن يقارفون الكبائر ويغشونها، لا يبالون بالوعيد الوارد فيها، فكان رحمه الله ينعي عليهم التهاون في فعلها، وكثيراً ما يوجِّه الخطاب لهم، ويُرجِع الأمراض التي يعاني منها المجتمع إلى عدم المبالاة بفعل الكبائر كقوله: (فكيف إذا كانت الرشوة في الأحكام الباطلة التي هي القوانين المخترعة من ظلمة أمراء الجور المضادين حكم الله).

وتراه دائماً يبدي يد النصح لهم كما في قوله: (فواجب على المسلمين جميعاً أن يسعوا في الصلح بينهم، لكونهم يداً واحدة على الكفار بالله، وأن لا يختلفوا لأجل غرض من الدنيا فتختلف قلوبهم، ويشتت شملهم الله، فإني ناصح لهم، وأريد أن تكون كلمتهم واحدة، ويدهم واحدة قائمين بالقسط شهداء لله، قال تعالى محذراً لهم من أن يشتتوا بالتنازع: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال:٤٦] أي: قوتكم ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال:٤٦].

الرابعة: تقريره لمنهج أهل السنة في الشرح فيما يتعلق بالحكم على أصحاب الكبائر، ومرجع ذلك إلى مسمى الإيمان، فلا يميل مع المرجئة الذين يخرجون العمل عن مسمى الإيمان حتى نفى غلاتهم ضرر المعاصي، كما إنه لا يميل إلى رأي الخوارج في التكفير بالكبيرة، من ذلك شرحه لحديث أبي هريرة عند مسلم مرفوعاً: «اثنتان في الناس وهم بهما[1] كفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت» قال: (المراد بالكفر المذكور هو نقص الإيمان بالله، ولو تكامل إيمانهم بالله لأيقنوا أنه لا عز إلا بالله، فلما شكّوا في ذلك ما تركوا الطعن في النسب ولا النياحة على الميت).

---

(١) لفظ الصحيح: «اثنتان في الناس هما بهم...».

ومما يوضح منهجه السليم مخالفته الخوارج الذين يرون تخليد أهل الكبائر ما أورده بعدما ساق جملة من الأحاديث التي تفيد عدم دخول الجنة لمرتكبي الكبائر كحديث: «لا يدخل الجنة قاطع» من قوله: (أي: إنه يعمل لها عملاً صالحاً يترجاها به حتى يغلب على سوء ما عمله مما يوجب نار الله، فمن مات وهو على وزن حبة من عمل صالح فلا بد من دخوله ولو بعد حين جنة الله، فكل ما ذكر من عمل سوء يوجب نار الله، ثم يكون بالعمل الصالح الخروج من النار، ولا يخلد فيها إلا الذي ليس في قلبه مثال ذرة من إيمان بالله).

نعم وردت في بعض المواضع إطلاقه الخلود وسلب الإيمان أو نزعه عن مرتكبي الكبائر فينبغي أن يحمل المطلق على ما قيده، كما يحمل المجمل على ما فصَّله.

الخامسة: اعتماده في الشرح على الكتاب والسنة، وما أجمل أن يستند الواعظ عليهما، ولكن الشيخ عقيل لم يتحرَّ في بعض الأحاديث الصحة اغتراراً بما ورد في مسند الفردوس للديلمي، ومعاجم الطبراني الثلاثة وغيرها من المتون التي لم يشترط أصحابها الصحة، وكذلك ينقل عن الجامع الكبير للسيوطي وغيره، ولا يحمل صنيعه هذا إلا على ذلك -أعني: اغتراره بورود الحديث فيها- لأنه يقول في الشرح: (فكم من أناس تكبروا على الحق حتى افتروا الأكاذيب في مجادلتهم بالباطل، واحتجوا له بأحاديث مفتراة فيها الكذب على رسول الله، فيا ويلهم حين يحشروا[1] إلى ربهم مسودة وجوههم، ومساقين إلى نار الله، روي في الصحيح عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إن كذباً عليَّ ليس ككذب على أحد، من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»، وروى مسلم أن النبي ﷺ قال: «من حدّث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين».

وللأسف أن الشيخ عقيلاً قد حطب في شرحه بليل، وأورد ما لا يصح عن رسول الله

---

(١) الأصح: يحشرون.

ﷺ، وكان قد وسعه ما وسع صاحب المتن، ويكثر من صيغة التمريض التي تدل على ضعف الحديث مع كونه صحيحاً.

وقد يقال: إنه يعمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال عند بعض العلماء، فله في ذلك مندوحة، فنقول: ذاك صحيح لو التزم بالقيود التي اشترطوها في ذلك، فالذين يرون العمل بالحديث الضعيف أضافوا ثلاثة شروط إلى كون الحديث الضعيف في القصص أو المواعظ أو فضائل الأعمال دون العقائد والأحكام كما قال السيوطي في ألفيته:

فِي الْوَعْظِ أَوْ فَضَائِلِ الأَعْمَالِ ... لا الْعَقْدِ وَالْحَرَامِ وَالْحَلالِ

والشروط الثلاثة هي:

١- أن يكون الضعف غير شديد، فلا يكون الحديث منكراً أو في إسناده متهم بالكذب.

٢- أن يندرج تحت أصل معمول به، فلا يكون أصلاً في بابه.

٣- أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته بل يعتقد الاحتياط، وأن يبين ضعفه عند روايته.

ولم يراعِ الشيخ عقيلاً هذه الشروط لا سيما الأول، فأورد ما اشتد ضعفه بل وما في إسناده وضاع وكذاب كما نبهت عليه في التحقيق.

هذا ما أردنا تلخيصه من وقفات توضح مميزات الشرح، وما يسعنا إلا أن نتحرى ما ذكره الشارح في خاتمة شرحه للكبائر من قوله: (رحم الله امرأ أذعن لما ذكر فيها من الحق وقيوده، وترحم على من ألَّف ما فيها من متن، وعلى من شرح ما يعضدها من آية وحديث، وقيد ووعد ووعيد، ووكل سريرة الماتن والشارح إلى الله، فإنه الرقيب والمحاسب والحفيظ على كل عامل عمل).

مخطوطات الكتاب

هناك مخطوطتان اعتمدت عليها في التحقيق، وهي من مخطوطات جامعة الرياض:

١- ورقمها (٦٥٤) وهي نسخة حسنة، خطها نسخ معتاد، جاءت في خمسين ورقة، ٢٢ × ١٦ سم، كتبت في القرن الثالث عشر الهجري تقريباً.

٢- ورقمها (١٣٦٢) وهي نسخة حسنة أيضاً، وخطها نسخ معتاد، جاءت في ثلاث وستين ورقة، ٢٢ × ١٦ سم، وكتبت في القرن الثالث عشر الهجري تقريباً.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

مقدمة في شرح متن تعريف الكبائر

(ش) روى أحمد ومسلم والترمذي أنه ﷺ قال: «أيها الناس! إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ ﴾ [المؤمنون:٥١] وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ [البقرة:١٧٢]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب! يا رب! ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغُذِّي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك»[1].

فيا أيها الناس! أصغوا لقول نبيكم فيما يدلكم عليه من بيان ما يقربكم إلى الله، فإن أنتم فعلتم الصالح من العمل رزقتم حلالاً طيباً، يورثكم جنة الله، وإن أنتم فعلتم الخبيث من العمل رزقتم حراماً مخبثاً، يورثكم نار الله، فإن الله لا يقبل عمل امرئ أكل حراماً، ولا يستجيب له دعاءه حتى يتوب إلى الله، فما دام مُصِرَّاً على أكل الحرام لم يوفق لعمل صالح، ولا ينتفع بقول: لا إله إلا الله، فإن شرط قولها العمل بمقتضاها من اجتناب النواهي، وامتثال الأوامر، فإذا لم يفعل كان متكبراً على أحكامها، وشاكاً في وعيد الله.

فمن أحكامها الناشئة من الإخلاص فيها الإحجام عما حرم الله. روى الخطيب أن النبي ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة، قالوا: يا رسول الله! فما إخلاصها؟ قال:

---

(١) رواه مسلم (١٦٨٦) والترمذي (٢٩١٥) وأحمد (٨٣٣٠).

أن تحجزكم عما حرم الله عليكم»[١].

ويعضد ما ذكر في الحديث قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [الأعراف:٢٠١] أي: تائبون منه إلى الله. وقوله تعالى: ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت:٤٥] أي: أكبر إنهاءً عن الفحشاء والمنكر مراقبة لله وقوله: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة:١٥٢].

فمعلوم أنه من ذكر الله بطاعته ذكره بمغفرته، ومن ذكر الله بمعصيته ذكره بمقته، ولا تبديل لحكمة الله، روى الحاكم أنه ﷺ قال: «إذا قلت: سبحان الله فقد ذكرت الله فذكرك، وإن قلت: الحمد لله فقد شكرت الله فزادك الله، وإن قلت: لا إله إلا الله فهي كلمة التوحيد التي من قالها غير شاك ولا مرتاب ولا متكبر ولا جبار أعتقه الله من النار»[٢].

فعُلِمَ من الحديث أن قيود كلمة التوحيد أربعة: اليقين بها، وعدم التردد في وعدها ووعيدها، والتواضع لأحكامها، والعدل بجريان أحكامها فيما شجر بين الناس، وتجعل القوي والضعيف سواء في حكم الله. فإذا لم يفعل ذلك تزايد الشك والارتياب، والكبر والتجبر على قدر الإصرار على معاصي الله وهي كثيرة: منها الكبير، ومنها الصغير.

---

(١) أخرجه الخطيب عن أنس (١٢/ ٦٣) والطبراني في الأوسط عن زيد بن أرقم. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٣): (وفي إسناده محمد بن عبد الرحمن بن غزوان وهو وضَّاع).

(٢) رواه الحاكم في تاريخه عن الحكم بن عمير الثمالي.

ورواه ابن جرير تفسيره (١/ ٦٠) قال: حدثني سعيد بن عمرو السَّكُوني، قال: حدثنا بقية بن الوليد، قال: حدثني عيسى بن إبراهيم، عن موسى بن أبي حَبيب، عن الحكم بن عُمَير - وكانت له صحبة - قال: قال النبيُّ ﷺ: «إذا قلت: الحمد لله رب العالمين، فقد شكرت الله، فزادك».

وإسناده ضعيف وبقية مدلس قد صرَّح بالتحديث، وعيسى بن إبراهيم القرشي منكر الحديث، وموسى بن أبي حبيب ضعيف وخبره ساقط.

باب في ذكر ما يكفر الصغائر

والإصرار على الصغير منها يصيره كبيراً عند الله، فمن اجتنب الكبير منها كفَّر الصغير منها له، وهو الذي لا إصرار عليه منه خوفاً من مقام الله.

قال تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [النساء:٣١].

ففهم من الآية أن من لم يجتنب كبائر ما نهى عنه لا يكفر عنه صغائر ما ارتكبه من معاصي الله، فلا بد أن يؤخذ بالكبائر والصغائر، وهو تحت مشيئة الله ما عدا المكفرات منها فإنها مما لا يغفرها الله.

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾ [النجم:٣١-٣٢].

وهي الصغائر التي تُكَفَّر باجتناب كبائر ما نهى الله، والكبائر كثيرة قد عُدَّت إلى سبع مائة، وهي متفرعة من السبع الموبقات في نار الله.

روى ابن جرير عن ابن عباس قال: «الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو لعنة أو غضب أو عذاب»[١]. ولما روى البخاري ومسلم عنه قال: هي إلى سبعمائة أقرب منها إلى السبع، غير أنها لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار[٢].

---

(١) تفسير الطبري رقم الأثر (٩٢١٢).

(٢) لم يروه البخاري ومسلم وإنما أورده الطبري أيضاً في تفسيره وفي كتاب الكبائر (وله عنه) أي: لابن جرير عن ابن عباس.

(ش) فأكبر الكبائر الإشراك بالله، فمن مات عليه كان مخلداً في نار الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨]، وروى البخاري ومسلم عن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور.. ألا وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت»(١).

فما كرر القول في الزور إلا لكونه قرن مع الرجس في عبادة غير الله، فعادل ذنب شهادة الزور ذنب عبادة الأوثان، وما يشاكلها فيما يعبد من دون الله، فقد روي أن: «شاهد الزور مع العشار في النار»(٢).

وفيه أحاديث بكثرة، وفي العشار أيضاً، وهو المكّاس الساعي بالفساد في أرض الله، فإن من سعى بالفساد فيها ارتكب آثاماً كثيرة تحبط عليه كل عمل قصد به وجه الله، فيفسد حتى يسري الفساد في جميع أعضائه، فلا ترى ساعيته إلا في معاصي الله، فلا ينظر الله إليه إلا بعين السخط، ولا يزكيه وله عذاب أليم يوم يلقى الله، فإن الله لا ينظر بعين رضا إلا لمن صلح قلبه حتى صلحت له جميع أعضائه، فلا ترى إلا ساعيته في طاعة الله.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الشهادات والأدب ومسلم في كتاب الإيمان .

(٢) أخرجه الديلمي (٢/ ٢٢٩) عن المغيرة بن شعبة. قال الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة (٨/ ٢١٨) بأنه باطل، وانظر: ضعيف الجامع (٣٣٧٩).

باب في ذكر ما يفسد القلب ويصلحه

روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» وفي آخر حديث مرفوع إلى النبي ﷺ أنه قال: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»(١).

(ش) فيعلم فساده بفساد الأعضاء الساعية في الأرض بمعاصي الله كما قال: «ما أسر عبد سريرة إلا ألبسه الله رداءها إن خيراً فخير وإن شراً فشر» كما قاله رسول الله(٢).

باب في ذكر الكبر وأنه من أضر الفساد الموجب الإبعاد

فرداء فساد القلب الاختيال والافتخار والتكبر على أحكام الله، قال الله تعالى: ﴿أَيْمَٰنُكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦] فمن لا يحبه مولاه كانت النار مثواه، قال تعالى: ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [النحل:٢٩]. روى مسلم أن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر. فقال رجل: يا رسول الله! إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً؟! قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس»(٣).

---

(١) الأول حديث أبي هريرة رواه مسلم في كتاب البر والصلة رقم (٢٥٦٤) وأحمد (٣/ ٥٣٩).
والثاني حديث النعمان بن بشير رواه البخاري في كتاب الإيمان والبيوع، ومسلم في كتاب المساقاة.

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» وفي «الأوسط» من حديث جندب بن سفيان مرفوعاً، قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١/ ٤١٠): ضعيف جداً.

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان رقم (٩١).

أي: رده على من قام به، أو أمر به، أو دعا إليه ولم يجب، فمن بطره لإيثار قانونه عليه المخالف لشرع الله، وغمط الناس: أي احتقارهم إذا تمسكوا ظاهراً بأحكام الله.

روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ متكبر»[١].

أي: الساعي بالفساد، والعاتي بقساوة قلبه، وغلاظة قوله وعمله وطمعه في أرض الله، فمَن هذا شأنه تزايد كبره حتى يجعله في أسفل السافلين، في نار الله ولا يُنَجَّى من النار إلا من سعى بالتواضع في الأرض بأحكام الله.

روى أحمد في صحيحه وابن حبان أن النبي ﷺ قال: «من تواضع لله درجة رفعه الله درجة حتى يجعله في أعلى عليين، ومن تكبَّر على الله درجة وضعه الله درجة حتى يجعله في أسفل سافلين»[٢].

وروى الطبراني أن عمر قال: «إياكم والكبر؛ فإن الكبر يكون في الرجل وإن عليه العباءة»[٣].

---

(١) حديث حارثة بن وهب رواه البخاري في كتاب التفسير رقم (٤٩١٨) والأدب رقم (٦٠٧١) ومسلم في كتاب صفة الجنة رقم (٢٨٥٣).

(٢) رواه أحمد في مسنده، وابن ماجه في كتاب الزهد رقم (٤١٧٦)، وابن حبان رقم ٥٦٧٨ ، من طريق عمر بن الحارث أن دراجاً حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعد. و دراج بن سمعان أبو السمح قال الحافظ عنه: صدوق ، في حديثه عن أبي الهيثم ضعف.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط رقم (٤٩٣٧) عن ابن عمر مرفوعاً. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله ثقات. وتعقَّبه الألباني في السلسلة الضعيفة بأن في سنده سويد بن عبد العزيز، وقد تفرد به وهو لين الحديث ؛ كما في «التقريب» ، بل هو واه جداً ؛ كما قال الذهبي في «الميزان».